

تاريخ القبول: 2025/10/18

تاريخ الإرسال: 2025/07/29

تاريخ النشر: 2025/11/30

تيمة الاغتراب وجمالية السرد في الأعمال القصصية لزهور ونيسي

The theme of alienation and the aesthetics of narration in the short stories of Zahra Ounisi

عاشور توأمة

المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة (الجزائر)

touama.achour@ens-bousaada.dz

الملخص:

احتلت القصة الجزائرية مكانة رفيعة بين مختلف الأجناس الأدبية الأخرى مبنى ومعنى، وتعددت أشكالها وموضوعاتها وأساليبها خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، ولعل من أبرز الأسماء الجزائرية المعاصرة الكاتبة زهور ونيسي من خلال أعمالها القصصية الرائدة حيث أبدعت فنيا في التطرق إلى قضية العمالة العربية في فرنسا وتصوير معاناتهم وأحلامهم بأسلوب شاعري مدهش، من خلال موضوع الاغتراب إذ أخضعت اللغة القصصية لصالح المضمون والفكرة في نطاق فني جمالي متناسق، مما جعل أعمالها القصصية تحظى بكثير من الاهتمام والدرس.

ولذلك يهدف البحث إلى استكناه تجليات جمالية السرد القصصي عند زهور ونيسي وما تحيل إليه عناصر الإبداع الفني خلف دلالات البياض والحذف

والصور الذهنية والمقاطع السردية المكثفة والحبلى بالمعاني والإسقاطات الذاتية والموضوعية.

وقد اقتصرنا الدراسة على عينة من القصص من خلال تيمة الاغتراب وذلك بقراءة في عتبة عنوان "على الشاطئ الآخر" وبعض عناوين "الساكنة الجديدة"؛ فضلا عن شعرية الانزياح وجمالية المكان السرد والفضاء القصصي عموما.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب - جمالية - السرد - القصص - الانزياح

Abstract:

The Algerian story occupied a prominent position among various literary genres, both in form and meaning. Its forms, themes, and styles varied during the 1970s and 1980s. Perhaps one of the most prominent contemporary Algerian names is the writer Zahour Ounissi, through her pioneering short stories. She excelled artistically in addressing the issue of Arab workers in France and depicting their suffering and dreams in a stunning poetic style. Through the theme of alienation, she subordinated the narrative language to the benefit of content and idea within a harmonious aesthetic framework, which has earned her much attention and study.

Thus, the research aims to explore the aesthetic manifestations of Zahour Ounissi's narrative style and the elements of artistic creativity that lie behind the connotations of blank space, deletion, mental images, and dense narrative passages laden with subjective and objective meanings and projections.

The study was limited to a sample of stories based on the theme of alienation, by reading the title "On the Other Shore" and some titles in "The Serious Residents." In addition to the poetics of displacement and the aesthetics of narrative space and narrative space in general.

Keywords: Alienation - Aesthetics - Narrative - Stories - Displacement

المؤلف المرسل: عاشور تومة؛ touama.achour@ens-bousaada.dz

1- مقدمة:

بلغت القصة الجزائرية مرحلة النضج بعد محاولات قصصية حيثة تعود نشأتها الأولى إلى سنة 1925م مع ظهور قصة "فرنسا والرشيد" لمحمد السعيد الزاهري، والتي نشرها في جريدة "الجزائر" وغيره من الرواد الأوائل للقصة الجزائرية أمثال أحمد بن عاشور الذي نشر في جريدة "البصائر"، وأحمد رضا حوحو الذي يعزى إليه الفضل في إبداع القصة الجزائرية الفنية من خلال مجموعاته الثلاث التي برزت للوجود بين عامي 1954 و1955م؛ ألا وهي "صاحبة الوحي وقصص أخرى" و"نماذج بشرية" و"مع حمار الحكيم"، ثم تبعه أبو القاسم سعد الله الذي نشر قصة واحدة في جريدة البصائر وعنوانها "سعة خضراء"، ومع هؤلاء الرواد تأسست المرحلة الأولى للقصة الجزائرية مع تباين في الأسلوب والموضوع والرؤية والتخييل يقول الكبيسي في هذا الصدد: (بدأت في الأول بطيئة حية ثم وجدت في الصحافة ما شجعها على الأسفار والانتشار).¹

عرفت المرحلة الثانية من تطور القصة الجزائرية ازدهارا نوعيا تزامنا مع اندلاع ثورة التحرير المجيدة 1954م،² ويمثل تلك المرحلة زمرة من القاصين على غرار عبد الحميد بن هدوقة، وأبو العيد دودو من خلال مجموعته القصصية "بحيرة الزيتون"، وعبد الله ركيبي في مجموعته القصصية "نفوس ثائرة"، والطاهر وطار في "الطعنات"، وزهور ونيسي في "الرصيف النائم"، و"على الشاطئ الآخر"، وكل هؤلاء جمعتهم كلمة سواء ألا وهي الخلاص من الاحتلال والمناداة بالحرية والاستقلال.³

2- الاغتراب Aliénation:

الإنسان كينونة أساسها العقل وجوهرها الشعور بالانتماء، بكل ما يحمل مفهوم الانتماء من معان، أساسها ضمان الحقوق؛ وفي مقدمتها ضمان الحق في الحرية

والعمل، وصون الكرامة الإنسانية دون إغفال أداء الواجبات في إطار التوازن الاجتماعي، الذي أساسه التكافل والتضامن والانسجام، والمساس بهذه المقومات يعرض الشخصية الإنسانية للشعور بالاغتراب.

ويعد الاغتراب ظاهرة إنسانية تتعلق بمختلف أنماط الحياة الاجتماعية وموجودة في مختلف الثقافات؛ بيد أنها بدرجات متفاوتة، فالاغتراب قد يحيل إلى معنى الانفصال والانتماء، كما يقصد به وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والقلق، فهو إذن حالة تسيطر على الفرد فتجعله غريباً عن واقعه ومجتمعه.⁴

عرف الاغتراب عند الفلاسفة اليونانيين بـ *persona* وهو يدل على معنى (نقل الملكية من شخص إلى شخص آخر إكراها)، واستعمل الاغتراب عند "هيجل" بمعنى (الانفصال أو التخلي) انطلاقاً من الذات مشمولاً كل المجالات، ونقله "ماركس" إلى الفلسفة المادية، ومنحه طابعاً إمبيريقياً وسوسولوجياً بعد أن كان مفهوماً ميتافيزيقياً غيبياً، إذ عرفه بـ: (العملية التي يتحول فيها الإنسان إلى حال التشيؤ ويُستبعد من عمله، ويتحول بقوة عمله إلى سلعة تباع في الأسواق)، والتشيؤ هو وقوع الإنسان في قبضة الأشياء وتهيمن عليه، حيث تنشأ علاقات حميمة بين الأفراد والأشياء، وتتعزز ثقة الأفراد في الأشياء أكثر من ثقتهم في أنفسهم وفي بعضهم بعضاً.

والاغتراب أحوال تتعرض فيها وحدة الشخصية إلى الانشطار؛ نتيجة تأثير العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التي هي نتاج ممارسة اجتماعية؛ فيفقد الفرد مقومات الإحساس المتكامل بالوجود؛ ويبدو عليه عدم التكيف مع نفسه ومع غيره، ويتسرب إليه عدم الثقة في النفس، ويهيمن عليه القلق باستمرار، والعنف الاجتماعي، والمخاوف المرضية، كما يهيمن عليه غياب الإحساس بالتكامل الداخلي في الشخصية، ويتعرض إلى العقد النفسية التي تعترى الشخصية، كالشعور بالنقص

والاضطهاد، وضعف الشعور بالهوية والانتماء، وهيمنة الشعور بالتهميش، وفقد المحبة، وانهيار المكانة الاجتماعية، وغياب الإحساس بالأمن.⁵

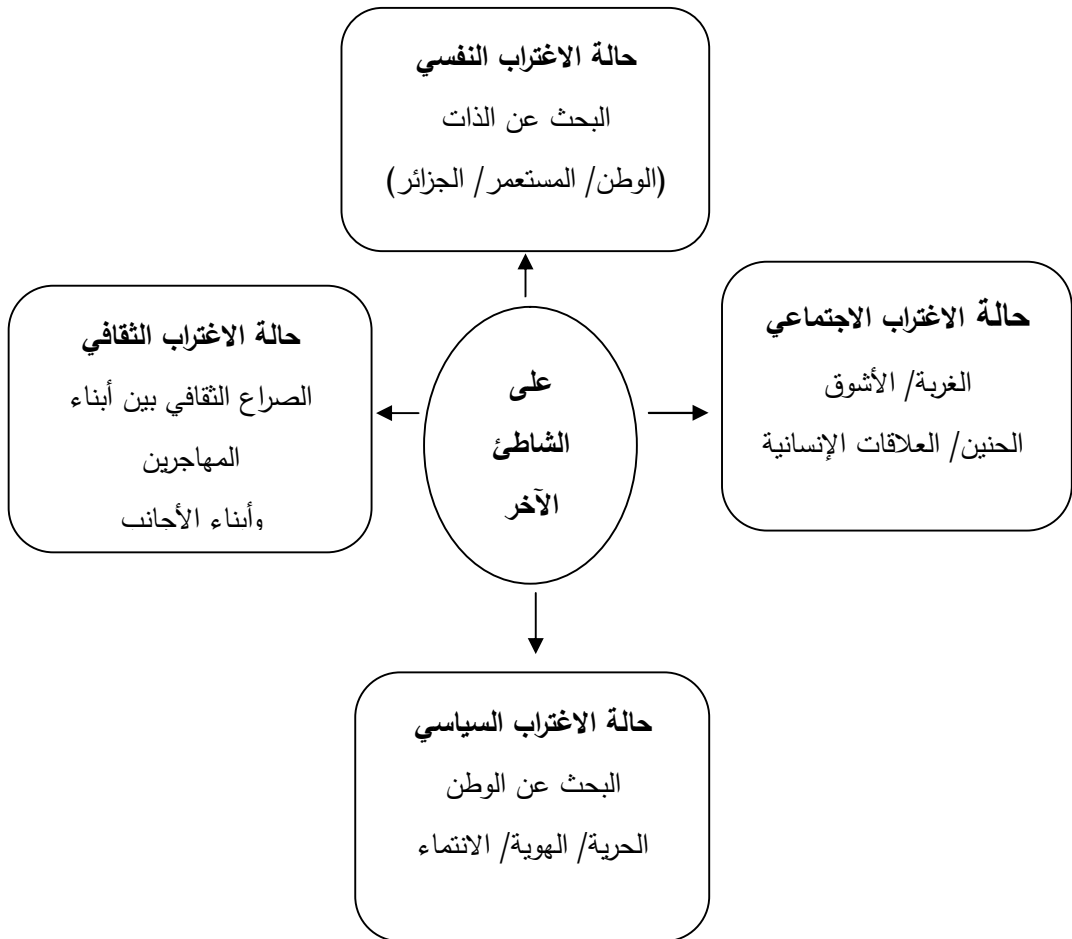
وتعد الضغوط الداخلية أسبابا للشعور بالاغتراب حيث يهيمن الإحباط النفسي على الإنسان الذي يوجه نشاطه نحو أعلى درجات الكمال، ولا يحقق ذاته المثالية، ويسعى إلى الوصول بنفسه إلى النموذج الذي يتصوره، ولكن تتواطؤ عوامل داخلية وخارجية في محيطه لتشكل عراقيل تثنيه عن إنجاز برنامجه، وهنا يبدو المغترب غافلا عما يحب، و يرفض محيطه، ويعمل على فقده وإتلافه، ويغفل واقعه، و يفقد الاهتمام به، ويعجز عن اتخاذ قراراته؛ حيث لا يعرف حقيقة ما يريد، كما يعيش خارج الواقع، ويخلق لنفسه حالا من الوجود الزائف.⁶

والاغتراب شعور وهمي بالحرمان، وهرب من الاندماج الاجتماعي، وابتعاد عن التكيف، وعدم القدرة على إعطاء معنى للحياة، ولامبالاة بالمعايير والقيم، والإحساس الدائم بالغربة عن الذات؛ لذلك يلجأ المغترب نفسيا إلى البحث عن ذاته خارج مدارات محيطه، سعيا إلى تحقيق وجوده في سياق انتماء مختلف، وهوية مختلفة، ويشعر بكل الوسائل إلى الهجرة حالما يواقع أفضل، وحياة كريمة تعيد له ما سلب منه بطرائق شرعية أو غير شرعية، وبأساليب مباشرة أو غير مباشرة؛ وعلاج الشعور بالاغتراب يكمن في القضاء على الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي شكلت الشعور بالاغتراب لدى الأفراد والجماعات، وإقامة العدل، وزرع الطمأنينة في النفوس، وتعزيز الثقة في بين الحاكم والرعية، وضمان الحقوق، وتأمين الأرزاق، وحماية الأوطان، ووصفات العلاج تتنوع بحسب أحوال الاغتراب لدى الأفراد، وأحوال الجماعات المغتربة ثقافيا وإيديولوجيا، وسوى ذلك من أنواع الاغتراب.⁷

3- عتبة عنوان المجموعة القصصية على الشاطئ الآخر:

يعد العنوان مفتاح التجربة وكنزها المعبأ بكل صنوف الوجدان،⁸ والعنوان مفتاح سحري لولوج عالم النص، ولذلك فهو رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل باطن النص،⁹ باعتباره علامة لغوية وضعت خصيصا لنص معين على نحو من الإيجاز والإيحاء من ناحية، و المفارقة والانتهاك والانفتاح المطلق من ناحية أخرى.¹⁰

وعنوان المجموعة القصصية على الشاطئ الآخر لزهور ونيسي نصا منفتح الدلالة، وباقي العناوين القصصية تفرعات نصية ناتجة عن هذا الشاطئ، ولعل هذه العلاقة بين عنوان المجموعة والعناوين الفرعية علاقة طبيعية؛ بل تشكل وحدة نفسية موضوعية في منتهى التماهي بين مد الذات وجزر الموضوع، إذ هي علامة سمائية بين ضفة مرافئ الحرية/ الجزائر وسجون العبودية/ فرنسا، ولعل صورة الشمس البرنقالية اللون والتي تتوسطها رمزية المرأة؛ من خلال خصلات شعرها الشبيهة بالسنابل وهي تنتسم هواء الحرية لدلالة واضحة المعالم على قرب عام الاستقلال، الذي يغاث فيه الناس بعد سبع سنوات عجاف، كما أن اللون البني الذي اختارته زهور ونيسي لعنوان مجموعتها القصصية يحيل إلى معاني الأرض والوطن والحرية، أو بمعنى آخر الزرع والحصاد والاكتفاء في كنف الوطن المستقل الواحد الموحد، كما تجسد أيقونة المرأة داخل الصورة المندمجة داخل شمس الحرية قمة الخصب والعطاء داخل فضاء الانعتاق والتحرر، كما يحيل إلى حالة الاغتراب النفسي والاجتماعي والثقافي الذي عانتها المرأة الجزائرية بشكل خاص جراء القمع والاضطهاد والعمالة والسجن أثناء معركة التحرير، ولعل هذه الخطاطة توضح حالات الاغتراب لدى المرأة الجزائرية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي:



4- عتبة عنوان المجموعة القصصية الساكنة الجديدة:

4-1/ النفي بلا رجعة:

النفي بلا رجعة علامة لغوية تشير إلى الاغتراب عن الوطن أو الاغتراب عن الذات والمجتمع، ولعل قضية النفي أو التهجير عانى منها الجزائريون أفرادا وجماعات خلال الفترة الاستعمارية، حيث انتهجها المحتل العاشم لأجل القضاء على

هوية الشعب، والقضاء على المقاومة واستغلال الشباب الجزائري لصالحه؛ إما بتجنيدته تجنيدا إجباريا في صفوف الجيش الفرنسي أو نفيهم إلى مستعمرات العدو للعمل، تقول الأدبية زهور ونيسي في قصة النفي بلا رجعة: (كانوا أربعة، ومع الآخرين أصبحوا أربع مئة أو أكثر، الحساب معهم لا يجرؤ على ممارسة دوره..! أتدرون لماذا؟ لأنهم سيصبحون مع الأيام شعبا.. شعبا بلا أرض، بلا أمة بلا هوية، وماضيا بلا حاضر، ولا مستقبل في الأرض الجديدة، في آخر الأرض التي يحتلها الاستعمار الفرنسي، كاليدونيا الجديدة، ويعمل على إعمارها برعاياه وعبيده من المستعمرات الفرنسية، وخصوصا الجزائر).¹¹

إن المتأمل لهذا النص السردي يدرك حالة الاغتراب التي تركها الاستعمار في نفوس جيلين؛ جيل الثورة وجيل الاستقلال، الذي عانى كذلك حالة من الاغتراب الفكري والروحي في ظل البحث عن هويته المستتلبة، والتي تسبب في تشويهها المحتل الفرنسي.

4-2/ غربة مفروضة:

يجسد هذا العنوان حالة من الاغتراب القصري والشعور بالانتماء تعيشه شخوص هذه القصة في تربة غير تربتهم؛ بعيدا عم ملاذ الوطن ودفء الاهل وأنس الأحبة، كما يوجز هذا العنوان كل معاني الاغتراب النفسي والروحي والاجتماعي؛ فمسيو سعيد الخائن للوطن والجارة الفيتنامية بطلا هذه القصة، إذ هما من أبناء المستعمرات الفرنسية يعيشان حالة من الاغتراب القصري؛ بيد أنهما يملكان سبل العيش وإن كان الشعور بعدم الانتماء والغربة لا يفارقهما، حيث يدركان جيدا أنهما في بلد استنزف خيرات بلديهما وقتل ودمر وشرذ الكثير من الناس.

4-3/ مطار×:

يعد المطار المكان الذي يجتمع فيه المسافرون والموظفون ومحطة الطائرات، والحرف اللاتيني (x) عادة ما يوظف في المعادلات الفيزيائية والرياضية والحسابات والقيم، وجملة مطار (x) هنا جملة اسمية تحتمل العديد من التأويلات الإعرابية، غير أن ما نلمحه في هذه الجملة وهو العلامة (x) تدل على شيء مجهول، فإذا كان المطار يدل على السفر أو الرجوع أو عدم الاستقرار والتنتقل فإن الحرف (x) يبقى يرمز إلى المجهول، فإذا كان متمم لمعنى المطار والرحيل فهو يعني الرحيل إلى المجهول، وإذا كان متمم لمعنى الرجوع فإنه يدل على معنى الرجوع إلى المجهول.

لا شك أن اجتماع كلمة المطار مع حرف (x) في القصة يشكل صورة اغتراب الشخصية العربية الإسلامية وهذا حسب ما يرويه لنا بطل القصة في قوله: (قرارات العالم كلها ضدك والمجالس كلها تلعب على قضيتك... إلى أين سباقك؟ إلى نهاية اختارها غيرك قبل اليوم.. الكلام الذي تريد تكراره أصبح لغة خشب لم يعد فيه طائل... المؤتمرات والملتقيات والندوات والخطب الرنانة. لم يعد كل ذلك ليقتنع أحدا... صنفه كما تشاء إنك لست الذي تصنفه... غيرك هو الذي يستطيع أن يصنف).¹²

يتضح من هذا المقطع السردى أن المؤتمرات والمجالس العلمية والسياسية الدولية التي يخصص لها قادة العرب مقاعد ويقطعوا لها تذاكر السفر لن تأت أكلها، لأن الكلام بلا أفعال لا يثمر نتيجة حاسمة وقرارات فاصلة كما فعل مجاهدونا ضد الاحتلال الفرنسي، وهي في الحقيقة إشارة إلى ما يحدث في الواقع العربي والإسلامي من حالة الضعف والهوان والاستغلال والتطبيع وعدم القدرة على تقرير المصير والخروج بموقف مشرف، ولا أدل على ذلك اليوم من موقف أغلب الدول العربية والإسلامية المتخاذل في عدم مساندة الشعب الفلسطيني في غزة وفي مقاومة الباسلة ضد الاحتلال الصهيوني الغاصب.

5- الاغتراب النفسي:

يعد الاغتراب النفسي أحد أشكال الاغتراب التي تصيب الإنسان نتيجة ظروف معينة وملابسات مناقضة لمبادئه وأفكاره، التي قد ترزح فيه ثقته بنفسه فتجعله ينسلخ منها فيصبح غريباً عنها تماماً.¹³ وبالتالي قد يفقد الانسجام النفسي والتوازن الاجتماعي والتكيف مع من حوله فينفصل عن المجتمع وينعزل عن الآخرين ويصاب بالخيبة والاحباط الشديدين. لا شك أن الكاتبة زهور ونيسي قد أجادت في تشخيص حالة الاغتراب النفسي التي تعاني منها بعض شخوص المجموعة القصصية؛ نتيجة الظروف العصيبة مما افقدها بوصلة الاتجاه وروح التفاعل والشعور بالانتماء داخل الوطن وخارجه على حد سواء، فجمال صاحب الشهادة الأكاديمية وعازف الألحان على آلة الأكورديون في شوارع باريس بطل قصة على جادة الإليزي يجد نفسه مغتربا عن نفسه وروحه التي تسمو بالإنسان، فقد كان يعتقد بأن آلة العزف البسيطة أداة توقظ روح الإنسانية في هؤلاء البشر تقول الكاتبة: (إنه يحاول أن يذكر الناس بشيء اسمه الروح والسمو بها إلى عالم الخيال والأمني، كثيرا ما نسوه، أو أهملوه وركضوا تجاه شيء اسمه المادة).¹⁴ لا ريب إنه الاغتراب الروحي الذي توحى به كلمات جمال حين قال: (الناس أصبحت عيونهم لا توحى بالفضول كالمسابق، أصبحوا يتحاشون النظر إلى غيرهم تحاشيا للتجارب معهم، لا بالنظر ولا بغيره، أصبح الناس يبحثون عن الانطواء والوحدة والتفرد).¹⁵

كما نلاحظ الاغتراب النفسي في قصة "اغتراب" حيث شخصت من خلالها اغترابها النفسي في فضاء ذاكرة التاريخ، وهي تتأمل صور المجاهدين في المتحف حيث يتصارع الماضي والحاضر تقول الكاتبة: (وقفت أتأمل الوجوه الرموز للمرة الألف، وللمرة الألف، كنت أحس بذلك الخيط الرفيع المتين الذي يربط بين دنياي ودنياهم، يربط بين اغترابي في دنيا اليوم، واغترابهم عن دنيا اليوم...).¹⁶

6- الاغتراب الاجتماعي:

يشكل الاغتراب الاجتماعي صراعا داخليا وآخر خارجيا، أما الصراع الداخلي فيتمثل في تلك الصدامات العرقية أو الدينية أو الطبقية داخل المجتمع الواحد، وأما الصراع الخارجي فعادة ما يحدث بين الدول ومن سماته، إنه يزيد من شعور الإنسان بالغربة عن واقعه الاجتماعي،¹⁷ ولذلك فإن الاغتراب الاجتماعي تقدمه لنا نصوص زهور ونسي من خلال مجموعتها القصصية "السكانة الجديدة" بنمطين؛ اغتراب اجتماعي داخل الوطن واغتراب اجتماعي خارج الوطن.

6-1/ الاغتراب الاجتماعي الداخلي:

يتجلى هذا النوع من الاغتراب في "السكانة الجديدة" وأحد الفضاءات المكانية المغلقة، وهو الزنزانة التي يزع فيها المناضلون نساء ورجالا ويعرضون لألوان من التعذيب والتكيل والقمع والتجوع، وهي كلها مساعي استعمارية لقتل الروح المقاومة داخل كل مناضل تقول الكاتبة: (ساكنة الزنزانة شابة في العشرين... غاب عنها الجمال منذ أن سكنت الزنزانة، رغم أنها جميلة جدا... يبدو أن المكان يعطي للأشياء مفاهيم مختلفة، تتغير هذه المفاهيم من مكان إلى آخر... العيون الملونة لسكانة الزنزانة ذبلت من الدموع الكثيرة التي ذرفت بسبب التعذيب والجوع والعطش والإهانة...).¹⁸ كما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن الزنزانة فضاء مكاني مغلق، وممن المؤكد أن ساكنيها مغتربين عن الأهل والمجتمع، وبالتالي البعد عن قضايا الوطن وهو ما يجسد حالة الاغتراب الاجتماعي الداخلي.

6-2/ الاغتراب الاجتماعي الخارجي:

يمثل هذا النوع من الاغتراب في المجموعة القصصية "السكانة الجديدة" قضية المهاجرين الجزائريين ومعاناتهم من أبناء المستعمرات الفرنسية؛ نتيجة سياسة النفي أو التهجير التي كانت تنتهجها الإدارة الفرنسية، بحيث لم يشعر هؤلاء المغتربون

بانتماهم الروحي والاجتماعي في بلاد الغربية، إذ تختلف جذريا عن الجزائر دينيا واجتماعيا وثقافيا وتقليديا ومعيشيا لاسيما مع نظرة الاحتقار والازدراء؛ التي تتطير كالشر من أصحاب البلد الأصليين، وقد أجادت الكاتبة زهور توظيف حياة جمال وسط هذا العالم الغريب والمضطرب بقولها: (سنة أشهر كاملة لم ير فيها نقطة ضوء واحدة تشير إلى التفاؤل بالمستقبل، ستة أشهر جاع فيها ويرد وتعري، وحاول الاحتماء مرة بالناس، ومرة بالحدائق والأنفاق، رسائل وطلبات كثيرة كتبها بفرنسيته الجميلة، طالبا الادماج في دواليب الحياة العملية، مكاتب، وإدارات، ومصالح... وها هو يضيع أكثر من الأيام الأولى، ويضيع على الأرصفة وهوامش المدينة أكثر من أيامه الأولى).¹⁹

أما عن نظرة الازدراء واحتقار أصحاب البلد لجمال وأمثاله وتضييق الخناق على نشاطاتهم وسبل عيشهم فقد لخصها جمال بقوله: (لعل الناس المتذمرين مخطئون، إن مدينتهم لا يمكن أن تحصل على هذا التميز إلا بهذه الألوان والأجناس والأعراق، إنه قدرهم أن يتحملوا رواسب وتصرفات أسلافهم، عندما غزوا شعوباً غيرهم واستعمروهم وفقروهم).²⁰

7- شعيرة الانزياح:

لدراسة شعيرة اللغة القصصية واكتشف جمالياتها يتوجب على الدارس الاستفادة من آليات نقدية محددة تتناسب مع كل قصة حسب تجلياتها الفنية؛ فضلا عما تبرزه هذه القصة من رؤى فكرية وحمولة معرفية وأبعاد أيديولوجية.

ولعل الانزياح اللغوي يشكل هاجسا مهما للأدبية الجزائرية زهور ونيسي في تشكيل المعنى؛ فنجد مثلا- في قصة جسيم وذهب: (ويضع الولدان يديهما على كتفيه، وتتسع الابتسامات، وتلمس الأقدام الأرض أكثر نحو مدينة حبلى بالجسيم والذهب).²¹

قد يلاحظ الدارس من خلال المقطع القصصي السابق أن اللفظتين جمعنا بين نقيضين؛ أي أن العذاب والألم سرعان ما يزولان من خلال اتساع بارقة الأمل والإقدام على فعل الخير، حيث لغة الازياح هنا تتميز بالإيحاء وفاعلية التأثير في خلق مشهد جمالي أخاذ؛ يجمع بين الأمل في الحياة والتمسك بالانتماء والإقبال والتحدي في مدينة تتوقد الجحيم وتزخر بالذهب في الآن ذاته.

8- جمالية المكان:

تبحث جماليته المكان في القيم والموجهات التي يتماهى فيها السارد مع شخصياته فضلا عن القارئ، وذلك رغم وجود تناظر أو تعارض ما بين الأمكنة، كون أن النفس البشرية قد تعشق هذا المكان أو ذاك، أو تألف هذا الفضاء أو تنفر منه؛ لما قد يثيره فيها من حنين أو انفعالات أو وجدانيات عموما سلبا وإيجابا.²²

إن دراسة حفريات المكان تتطلب تحديد تلك القيم الإنسانية لأنواع المكان، الذي يمكننا الدفاع عنه ضد القوى المعادية؛ أي مكان الألفة الذي نعشقه دوما، وهو المكان الممتدح لأسباب كثيرة، ومرتبطة دوما بأدوات الحماية، التي يحوزها المكان ويمتلكها الإنسان، وعادة ما تكون قيما إيجابية مسيطرة.²³

هذا المكان له حفرياته المائزة وجماليته الخاصة، وفق تجربة الكاتب نفسه، حيث يظل هذا المكان مرتبطا بتاريخ التجربة الذاتية الخاصة به، ومرتبطة كذلك بالمكونات الوجدانية للقارئ، وهذا ما ينتج عنه تعدد الرؤى عند المتلقين واختلافها، بحيث قد يكون هذا المكان مصدر سعادة عند بعضهم ومصدر ضجر عند آخرين.²⁴

يسهم السرد القصصي في تشكيل جمالية المكان ويتضح ذلك من خلال ضرب مثال على سبيل الذكر لا الحصر؛ وهو جزء من مقطع سردي من قصة حديقة الله: (كان طفلا داخل الحقول الخضراء والسنابل الذهبية... صحبة أجمل الحيوانات وأرقها، الحصان الجامح والبقرة الحلوب، والكلب الأليف والعجل السمين، طفولته

كانت مع ديوان العجائز... فهذه تغزل برنوسا والأخرى تنسج فراشا، والثالثة تخبز خبزا في لون الذهب، أو تقتل كسكسا في طراوة الزهرات الرقيقة، كانت طفولته وكان شبابه هناك حيث تسكن الملائكة... كما كان يحلو له أن يطلق على الثوار المجاهدين).²⁵

يتضح من هذا المتن السردى أن جمال الحديقة هي مصدر الضياء والراحة والهدوء، فهي المكان الذي تأنس له نفس الطفل الوديع فتستدعي له الذكريات الجميلة، فهي الحديقة الساحرة منبع الأمل والحب والذكريات الحاملة والحنين إلى الثورة.

يستشف القارئ أن تلك الجمل الموجزة المكثفة الدلالة والإيحاء قد رصفتها الكاتبة زهور ونسي رصفا جميلا بعناية متناهية، فلا تنبو لفظة عن غيرها ولا جملة على أخرى، ولا ريب أن مثل هذه الأعمال القصصية للكاتبة تبدو وكأنها نصوص مغلقة وبسيطة، وقد نجدها متناصة مع نصوص معرفية أخرى، لأنها تشمل زخما من الدلالات المنفتحة؛ بحيث تعكس عمق وفكر صاحبها واطلاعها على مجالات معرفية متباينة.²⁶

9- جمالية اللغة القصصية:

تتجلى جمالية الأعمال القصصية عموما في اختفاء التفاصيل كأن تضع الكاتبة نقاط حذف أو ترك فسحة مكانية؛ لأجل استفزاز القارئ فيتصور خلفيات الكلمات ويتأول المعاني فيملأ الفراغات، وهذا ما يدفعه للتفاعل مع الحدث القصصي، وكأنه يستلهم منه واقعه ويتعاش مع كمعادل موضوعي لحياته وآماله وتأوهات وأحلامه وخيالاته، ويتجلى هذا في العديد من موضوعات الأعمال الكاملة للكاتبة زهور ونسي نذكر منها -على سبيل المثال لا الحصر: (لقد عاش لحظات عسيرة وأياما شاقة،

وهو يجمع ملفه وأوراقه لثبت أنه مجاهد، ومعطوب حرب... وله الحق في منحة من الدولة... كم تقاذفته بلديات ومكتبات ووزارات ومصالح مختلفة).²⁷

يحيل هذا المقطع السردى إلى معاناة سي صالح أثناء محاولة تسوية ملف حقوقه الكاملة من خلال الاستفادة من منحة معطوبي حرب التحرير؛ بحيث أن مدة جمعه لأوراق الملف دامت أياما عسيرة؛ بيد أن الكاتبة حذفَت الأقوال والأفعال، واختزلت الأحداث التي وقعت والحوارات بين الأشخاص في المكتبات والبلديات والوزارات طيلة تلك الفترة لأجل تسريع وتيرة السرد.

10- تقنية البياض:

استعانت القاصة زهور ونيسي قد باليات شعرية السرد المعاصرة من خلال تقنية البياض أو الحذف، ويبرز ذلك من خلال نقاط الحذف الثلاث المتتابعة بين الجمل القصيرة، وهو ما من شأنه أن يسرع حركة السرد بإسقاط جمل وفقرات ما تشمل أحداثا محددة؛ بحيث يمكن الاستغناء عنها مع الإحالة إليها عبر إراءة التأويل؛ ومثال ذلك: (كل مل حوله يثير السأم... سأم... سأم... سأم هناك... سأم في العمق... سأم في السطح).²⁸

وفي مثال ثان تقول الأديبة زهور ونيسي في قصة "موسم اللقاح": (ما بال الزمن لا يتحرك... رغم دقائق الساعة اللحوح... ورغم دقائق القلب كذلك... إنه الزمن الرديء... لذلك لا يتحرك... زمن رافض للحركة... رافض للنشاط... زمن منهزم... رافض للحياة كلها...).²⁹

وعلى هذا الأساس فإن الهدف من توظيف المبدعة زهور ونيسي تقنية البياض هو إحداث تفاعل بين النص والمتلقي لملء ثغرات الحدث القصصي من ناحية، واستفزاز القارئ وتفاعله من ناحية أخرى.

11- جمالية الفضاء القصصي:

يمثل الفضاء القصصي أو بنيوي الزمن والمكان وحدة مترابطة فيما بينهما ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر في العمل القصصي إذ ويتم التأثير المتبادل بينهما داخل العمل الإبداعي فالمكان يدرك ويقاس بالزمان والزمان يتجلى في المكان³⁰، حيث يحدث الاتصال والتداخل حتى في المصطلح النقدي المعاصر الزمكانية كحيز في انتظام الأشياء في العالم المتحرك. وبدل الاكتفاء بالزمان القائم تبحث الأدبية ونيسبي عن الزمن المتخيل³¹ وهذا جلي في قصة لماذا تخاف أمي ومنها هذا المقطع الجميل:

(فتح حمدي عينيه وقد أحس وجهة بدفع الشمس، وقد تسلفت خطوطا مستقيمة من خصائص النافذة المغلقة، وابتسم لنفسه عن صف نضيد من أسنان لم يقتلع منها للتبديل... ثم أغمض عينيه وفتحها ثانية وكأنه يتأكد من أن اليوم شمس جميل، إننا في شهر ديسمبر، ورغم ذلك لا تبخل علينا سماؤنا بشمس دافئة، وزرقة لاتشوبها سحابة ولا يتخللها غيم، إنها أبرز ميزة في طبيعة الجزائر).³²

إن المتأمل في هذا الفضاء القصصي يستشف جمالية تلك الكلمات في اختزالها لكثير من المعاني المتداعبة والدلالات المنشطية في مخيلة القارئ، والمحكومة بخط منطقي يحميها من الانفلات.³³

ولعل القاصة زهور ونيسي تعيش هوسا يتضح من خلال الفضاء القصصي، مما يدفعها للصمت كي تترك المجال لامتداد معاني تلك الكلمات المكثفة دلاليا كي تبوح عن نفسها واستمرارها في الوجود مع كل قراءة مستجدة، ولهذا قد يتداخل فضاء الوقائع مع نفسياتي القاصة والقارئ وروح النص.³⁴

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج لعل من أهمها:

- أن القصة السبعينية الجزائرية جنس أدبي يحظى بكثير من الاهتمام والدراسة، حيث تمكن من معالجة قضايا إنسانية مختلفة؛ لعل أهمها تلك القضايا المتعلقة بإفرازات الاحتلال الفرنسي وما بعد الاستقلال، وقد أبدعت الكاتبة زهور ونيسي فنيا في التطرق في أعمالها القصصية إلى قضية العمالة الجزائرية في فرنسا ومستعمراتها ومعاناتها في الغربة، كما مهدت الطريق لبروز أسماء أدبية نسوية جزائرية صارت عالمية في مجال السرد القصصي والروائي.

- أن الكاتبة زهور ونيسي قد تمكنت من كشف ظاهرة الاغتراب بلغة أدبية راقية من خلال أعمالها القصصية سواء على الشاطئ الآخر أو الساكنة الجديدة، بحيث استطاعت أن تغوص في الحياة النفسية والاجتماعية والسياسية للمواطن الجزائري، وتستشف معاناته وشعوره بالاغتراب النفسي والاجتماعي والهوياتي والذي خلفه الاحتلال الفرنسي الغاشم قبل الثورة وأثناءها وبعد الاستقلال.

- كما أبدعت الكاتبة زهور ونيسي من تقديم أعمالها القصصية في شكل لوحات فنية ثلاثية الأبعاد، وهذا من خلال بعدها اللغوي وبعدها الأسلوبي وبعدها التصويري لاستجلاء جمالية السرد عبر عينة من قصصها المختارة، والتي عادة ما تعكس صور الفرد الجزائري والمجتمع عموما بطعم أدبي فني، لذلك توسلت بعناصر الإبداع الجمالي الذي أساسه الاقتصاد اللغوي وكثافة المعنى وحسن الأسلوب وعمق الدلالة، من أجل إثارة القارئ وتفاعله في بناء النص وإعادة قراءته من جديد.

الهوامش والمراجع:

¹ - طراد الكبيسي، القصة القصيرة جدا في العراق، ص36.

² - عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، وهران، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط4، 2007م، ص 7.

- ³ - أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1998م، ص 15.
- ⁴ - أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن 7هـ- دراسة اجتماعية نفسية- دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
- ⁵ - نور الدين السد، ظاهرة الاغتراب.
- ⁶ - المرجع نفسه.
- ⁷ - المرجع نفسه.
- ⁸ - عدنان قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، مصر، دط، 2001م، ص 328.
- ⁹ - بشرى البستاني، قراءات في النص الشعري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2002م، ص 34.
- ¹⁰ - رشيد يحيوي، الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، ص 110.
- ¹¹ - المدونة، ص 37.
- ¹² - المدونة، ص 14.
- ¹³ - سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا لعبد الله عيسى لحليح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية والأدب العربي، ص 53.
- ¹⁴ - المدونة، ص 9.
- ¹⁵ - المدونة، ص 10.
- ¹⁶ - المدونة، ص 59.
- ¹⁷ - سماح بن خروف، المرجع السابق، ص 64.
- ¹⁸ - المدونة، ص 79-80.
- ¹⁹ - المدونة، ص 16.
- ²⁰ - المدونة، ص 13.
- ²¹ - زهور ونيسي، الأعمال القصصية الكاملة، قصة جحيم وذهب، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 354.

- ²²- رولان بورنوف وآخرون، معضلات الفضاء، تر: عبد الرحيم حزل، عن مؤلف الفضاء الروائي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م، ص 104 وما بعدها.
- ²³- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسس الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2000م، ص 31.
- ²⁴- عزوز علي إسماعيل، شعريّة الفضاء الروائي عند جمال الغيطاني، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2010م، ص 59.
- ²⁵- زهور ونيسي، المصدر السابق، ص 187.
- ²⁶- محمد يوب، القصة القصيرة جدا، الخروج عن الإطار، 2015. ص 59.
- ²⁷- زهور ونيسي، الأعمال قصصية الكاملة: قصة مجرد عتاب، ص 194.
- ²⁸- زهور ونيسي، الأعمال قصصية الكاملة: قصة موسم اللقاح، ص 235.
- ²⁹- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ³⁰- ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، دت، ص 6.
- ³¹- بركة لخضر، الريف في الشعر العربي الحديث قراءة في شعريّة المكان، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ص 14.
- ³²- زهور ونيسي، الأعمال قصصية الكاملة: قصة لماذا تخاف أمي، ص 259.
- ³³- محمد يوب، المرجع السابق، ص 78.
- ³⁴- المرجع نفسه، ص 85.